اليهودي القديم الذي كان يعيش على صلة بالطبيعة دون وعي تاريخي او اخلاقي ، بل وما أبوللو سوى اله اليهود الذي قاد شعبه الى أرض كنعان :

وأتيت اليك ، أتيت اليك لاسجد امام تمثالك وصورتك — يا رمز تألق الحياة ،
أسجد وأنحني أمام الخير والسمو ، ولكل ما هو مجيد في هذا العالم ، لكل ما هو رائع بين المخلوقات .
ولكل ما هو متسام في ديانات الكون البدائية ، انني أنحني للحياة ، وللبسالة والجمال ،
انني انحني لكل الاشياء الثمينة — التي سرقتها الان الجثث الحية والذرية العفنة ،
الذين يثورون على الحياة التي منحنا اياها الله القادر ، رب البرية المليئة بالاسرار ،
رب الرجال الذين غزوا أرض كنعان كالعاصفة ، ثم قيدوه بأغلال تعاويذهم .

ان تصور تشرنحوفسكي لليهودي الجديد مبني على أسطورة لا تختلف في غيبيتها ولا في انسانيتها عن الاساطير اليهودية القبلية القديمة التي يدعي الشاعر انه يرفضها . كما أن الهه القومي العلماني ، اله الافراح والحياة اليهودية الجديدة ، لا يختلف في تعطشه لدم الجوييم عن اله باروخ الذي يتلذذ برؤية هلاك الابرياء .

الغربة في أرض الميعاد

هاجر تشرنحوفسكي مع من هاجر من الصهاينة الى فلسطين ، واستقر فيها ، وكتب قصائد تؤيد الغزو الصهيوني لارض كنعان . كما أسهم في الدعاية الصهيونية بشكل واضح ، ولكنه على الرغم من ذلك كانت تمر لحظات يخامره فيها الشك من كل هذه الضوضاء . وقد عبر عن هذا الشك في قصيدة تسمى « ليس لي شيء يخصني » ، ولعل من المفيد ان نذكر ان القصيدة كتبت في القدس عام ١٩٣٩ ، وهي تعبر عن احساس غامر بالغربة .

ليس لي شيء يخصني — ولا حتى مائدة ، واحيانا حينما تنسج اللحظة الواهنة الشاحبة
خيوط العنكبوت حول روحي المثقلة ، في الليالي الرهيبة ، او في منتصف الليل الساكن ،
حينئذ يبدأ قلبي — الذي سأم أكاذيب الغوغاء — في الصلاة من اجل لمسة يد رقيقة .

وفي حجرته في القدس يستمر الشاعر في التأمل :

داخل اربعة حيطان غرفة ليست لك ، حيطان احتكت بها اجساد الغرباء ،
مخربين ألوانها بنظراتهم ولمساتهم ، أيديهم صقلت المزلاج ، وجعلت مقبض الباب لامعا ،
نسج العنكبوت بيته فوق المدخل الحزين ، فوق التراب الذي خلفه الغرباء ، والذي يحكي عن رغبات الاخرين واذواقهم ،
خيوط العنكبوت غظة وقبيحة ، والغرفة ليس فيها اي شيء تبحث عنه عيونك بوله ... لا ولا يوجد فيها أي تذكار سعيد ،
يؤنسك برموزه ، ويلمح لك بالنور والصوت . كما اعرف هذا أيضا : أنني لن ابتني أبدا
بيتا ، لا ولن امتع ناظري برؤية المعول الذي يضرب الصخر ، او بالارض التي تظهر عريها لكي ترسي الدعائم.
لا ولن ابارك كل طوبة كلما ارتفع الحائط ، لا ولن يشدو قلبي حينما يشيد السقف القوى .

ويستمر الشاعر في سرد الاشياء التي لن ينالها في حياته : فهو لن يمكنه أن يغرس شجرة او يرويها ، كما لن يمكنه ان يجني ثمرها :

لقد تجولت طيلة حياتي ، وربما سأستمر في التجوال ،
وملكية الارض ليست من نصيب المتجول ، انها ليست من نصيبي .

وحينما يتعرف الشاعر على لا جذريته وعلى هويته كجوال ابدي يقول :

حيث ان هذه المائدة ليست لي ، فلنضع عليها شيئا امتلكه كلية ، شيئا يظل معي أينما ذهبت .

هذا الشيء هو تمثال من حجر : رمز لرغبته العارمة في شيء من الثبات والديمومة ،